تخصيب اليورانيوم الإيراني بين التهديد والردع: مسار محفوف بالمخاطر

شهدت الهجمات الجوية التي نفذتها الولايات المتحدة وإسرائيل على مدى 12 يومًا ضد إيران نجاحًا بارزًا على مستويين رئيسيين: استهداف البرنامج النووي، والبرنامج الصاروخي، إلى جانب تنفيذ عمليات تصفية طالت كوادر عسكرية وعلمية بارزة، وبلغت الحملة ذروتها في 21 يونيو، عندما شنت الولايات المتحدة غارات بطائرات "بي-2" مستخدمة أقوى أنواع الذخائر الخارقة للتحصينات، وهي قدرات لا تمتلكها إسرائيل، إضافة إلى استخدام صواريخ كروز، ما ألحق أضرارًا جسيمة بمواقع نووية إيرانية في نطنز، وفوردو، وأصفهان.

وجاء في تقرير لصحيفة العرب وتابعته "المطلع"، أن:"الغموض بشأن دقة الضربات التي طالت المواقع النووية يثير التساؤلات حول قدرة إيران على العودة إلى التخصيب، وهل الأمر يمكن أن يتم بسرعة أم ببطء شديد".

ويرى المحلل الأميركي جريج بريدي أن:"النجاح الواضح للحملة العسكرية لم يؤد إلى اتضاح المشهد، هل تم إنهاء البرنامج النووي أم أن الأضرار يمكن تلافيها، وهذه نقطة يبدو أن الرئيس دونالد ترامب

ينفيها أو يحاول حجبها، بينما يعترف بأن استئناف المفاوضات مع طهران سوف يكون أمرا ضروريا".

وفي لاهاي يوم 25 يونيو في قمة حلف شمال الأطلسي (ناتو)، عندما سئل ترامب عمّا إذا كانت الولايات المتحدة تعتزم مهاجمة إيران إذا أعادت بناء برنامجها الخاص بالتخصيب، قال "أكيد".

ويرجع جزء من النهج الدفاعي الحالي لإدارة ترامب إلى تسريب تقرير يوم 24 يونيو من وكالة استخبارات الدفاع بشان الضرر الذي تعرض له البرنامج النووي الإيراني، والذي ذكر في تقييمه أنه، تمت إعادة البرنامج عدة أشهر للوراء ولم يتم تدمير المعدات والأجهزة الرئيسية.

ومع ذلك، تضمن التقرير العديد من الملاحظات التي أثارها على مدار سنوات محللون يشككون في إمكانية أن يكون هناك حل عسكري للقضية النووية الإيرانية، تشير إلى أن أيّ حملة قصف قصيرة لا يمكن أن توقف بشكل نهائي برنامج إيران.

وصرح النائب الديمقراطي عن ولاية إلينوي مايك كويجلي لصحيفة "واشنطن بوست" في 25 يونيو أن:"مسؤولي استخبارات أميركيين أبلغوه على مدار سنوات بأن أي هجوم جوي على المنشآت النووية الإيرانية لن يكون له تأثير دائم وأن هناك شكوكا في أن الضرر المحدود هو السبب وراء قيام إدارة ترامب بتأخير عقد جلسة إحاطة سرية في الكونغرس كانت مقررة في ذلك اليوم".

وبصرف النظر عن الأسئلة الفورية المتعلقة بالرؤى السياسية والمعلومات الاستخباراتية، أوضحت إيران بجلاء أنها تعتزم أن تعيد بناء برنامجها الخاص بالتخصيب.

ويعني ذلك أن وقف إطلاق النار الحالي ربما لا يستمر لفترة طويلة، لأن استئناف أنشطة التخصيب ستتطلب ضرورة شن هجمات إسرائيلية أو أميركية، وإذا كان هذا ممكنا، فإنه يمكن أن يتضمن محاولة من جانب الإيرانيين لرفع نسبة اليورانيوم عالي التخصيب الذي لديهم والتي تبلغ 60 في المئة، إلى درجة تصنيع أسلحة.

وعندما يجتمع مسؤولون أميركيون وإيرانيون، والذي قال ترامب إن:"هذا سيكون في الأسبوع الجاري، فإن من المرجح أن تتعرض إدارة ترامب لصدمة شديدة".

فماذا سوف يحدث عندما يلتقي مسؤولون أميركيون وإيرانيون؟ لقد تعرضت إيران لضربة موجعة، ولكنها لم

تسقط، ولديها أوراق لتلعب بها، وبصفة خاصة حقيقة أنه مازال لديها يورانيوم عالي التخصيب بنسبة 60 في المئة.

وإذا تمكنت إيران من إقامة منظومة من أجهزة الطرد المركزي في مكان ما سري، فإنه يمكنها أن تصنع في نهاية المطاف رأسا حربية.

ووقف إطلاق النار الحالي صامد، ولكنه أبعد ما يكون عن توازن مستقر وسوف يحتاج ترامب إلى أن يقنع إيران بالموافقة على قيود في مفاوضات لن تكون من جانب واحد تماما،حتى إذا لم يكن يستوعب ذلك بعد، كما بدا واضحا في تصريحاته العامة.

وسوف تواصل إيران الإصرار على الاحتفاظ ببعض عمليات التخصيب، حتى إذا كانت تحت قيود شديدة الصرامة.

ومع افتراض أن إدارة ترامب سوف تتمسك بشدة بموقفها الرافض لأيّ تخصيب، فإنه في تلك الحالة، سوف تنهار المحادثات مرة أخرى وسوف يتم في نهاية المطاف جر إسرائيل والولايات المتحدة إلى عمل عسكري مرة أخرى، ربما في غضون أشهر وليس سنوات.

وقد أرست إسرائيل أيضا الآن سابقة أن القرارات الخاصة بموعد اللجوء للعمل العسكري سوف يتم اتخاذها في القدس وليس في واشنطن، ومع ذلك سوف توفر الأخيرة القدرات الإضافية عندما تكون هناك حاجة إليها.

وسوف تكون إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها أن ينهي ترامب هذه الديناميكية، ولا يبدو أن هناك وسائل أخرى كثيرة، هي اتخاذ موقف أكثر مرونة بشأن الاحتفاظ بتخصيب محدود في ظل ضمانات شديدة الصرامة.

وسوف تؤدي أيّ عودة إلى تدبير على غرار ما تضمنته خطة العمل الشاملة المشتركة، (الاتفاق النووي الإيراني 2015)، ولكن مع استخدام القدرة على استئناف الهجمات المحتملة للحصول على المزيد من الشفافية، إلى أن تكون إيران مسؤولة عن مخزونها من اليورانيوم عالي التخصيب والتخلي عنه، والامتناع عن تخصيب اليورانيوم إلى ذلك المستوى مرة أخرى، ما يزيل الاحتمال الحقيقي للغاية بأن إيران يمكنها أن تنسحب قريبا من معاهدة منع الانتشار النووي وتواصل أنشطتها سرا باستخدام تلك المادة القريبة من درجة صنع أسلحة.

وقال بريدي، وهو زميل أول في مركز "ناشونال إنتريست"، إن:"هذا أمر مؤسف بالنسبة إلى الولايات المتحدة ولكن بالنسبة إلى إيران فإن امتلاك تلك المادة ورقة مساومة رئيسية حيث من المرجح أن تلوّح بها لنا في الأسبوع المقبل. وإذا كان لا يمكن بالنسبة إلى الولايات المتحدة أن تذهب إلى هذا المدى، فربما يمكن إعداد ذلك في صورة تدبير مؤقت قبل تشكيل هيئة تخصيب إقليمية كما ورد في الاقتراح الأميركي الأخير الذي تم تقديمه لإيران".

ويتمثل الهدف الملح على المدي القريب في تحقيق الشفافية وانتزاع اليورانيوم عالي التخصيب من إيران.

ويرى بريدي أن:"ما يواجهه ترامب هو اختيار بين التخلي عن كبريائه وقبول اتفاق نووي على غرار خطة العمل الشاملة المشتركة أو جره إلى سيناريو العمل العسكري".

والجدير بالذكر أن:"غالبية من الأميركيين لا يوافقون بالفعل على العمل العسكري الأميركي ضد إيران"، وأظهر استطلاع للرأي أجرته شبكة "سي إن إن" بعد الهجمات الأميركية موافقة 44 في المئة مقابل معارضة 56 في المئة.

وحتى بين الجمهوريين، أعرب 44 في المئة فقط عن دعم قوى للعمل العسكري الأميركي، ما يوضح المدى الذي تنظر به قاعدة ترامب وهي حركة "لنجعل أميركا عظيمة مرة أخرى" إلى هذا على أنه انحراف عن شعار "أميركا أولا".

وسوف يكون من الحكمة أن يكون الرئيس الأميركي ثاقب البصيرة وينظر للمدى البعيد وليس الآني بشأن هذا الأمر.

وكانت إيران قد أذعنت لخطة العمل الشاملة المشتركة ولكن إذا كنا على طريق إلى العمليات العسكرية المتكررة ضد إيران لتتبع جهودها النووية السرية، فهناك كل الأسباب التي تدعو للاعتقاد بأن هذا سوف يصبح طريقا مليئا بالمشاكل بالنسبة إلى ترامب والجمهوريين الذين سيواجهون انتخابات التجديد النصفي في عام 2026 والانتخابات الرئاسية عام 2028.